

سلسلة أعلام للناشئة

العدد

«٢٣»

وزارة الثقافة

الهيئة العامة السورية للكتاب

منشورات الطفل

إبراهيم هنانو

إعداد: ماهر الأشرم

رسوم: بتول ماوردي



الهيئة العامة
السنورية للإكتتاب
إبراهيم هنانو



رسم الغلاف
عبد الناصر الشعال
المؤسسة العامة
السنورية للكتاب



إبراهيم هنانو

إعداد: ماهر الأشرم

رسوم: بتول ماوردي

الهيئة العامة
للسيولة لاكتتاب

الهيئة العامة السورية للكتاب - منشورات الطفل

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٣م

إبراهيم هنانو / إعداد ماهر الأشرم؛ رسوم بتول ماوردي
- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣ م.
٦٨ ص؛ ٢٠ سم.

(سلسلة أعلام للناشئة؛ ٢٣)

١- ٩٢٣,٢ ط: هنانو ، إبراهيم أ ٢- ١٠٢, ٩٥٦
ط أش ر إ ٣- العنوان ٤- الأشرم ٥- السلسلة
مكتبة الأسد

سلسلة أعلام للناشئة

«٢٣»

مقدمة

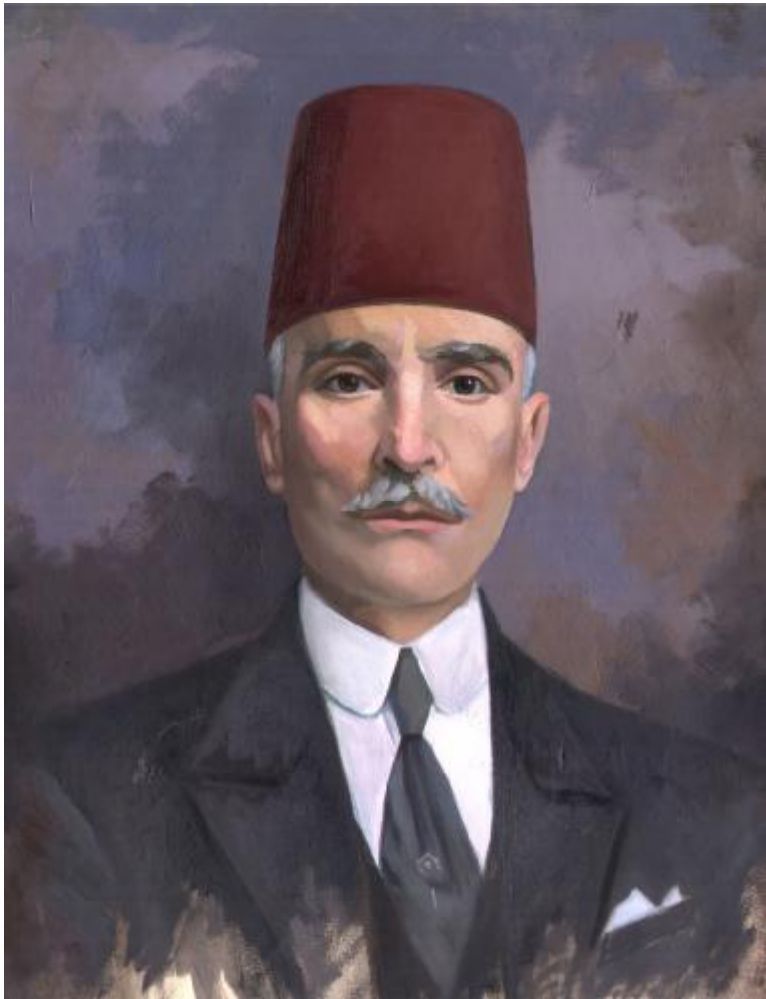
أولاً: حياته ونشأته:

ولد إبراهيم بن سليمان آغا هنانو في بلدة كفر تخاريم بقضاء حارم في محافظة إدلب غربي حلب عام ١٨٦٩ . ونشأ في كنف أسرة غنية عملت على تربيته وتعليمه وتنشئته على أفضل ما يكون التعليم في ذلك الزمن.

كان والده سليمان آغا أحد أكبر أثرياء حلب، ووالدته كريمة الحاج علي الصرما من أعيان كفر تخاريم.

أتم دراسته الابتدائية في كفر تخاريم، ثم انتقل إلى حلب حيث أكمل دراسته الثانوية.

أراد إبراهيم هنانو متابعة دراسته في الأستانة (اسطنبول)، ورغم رفض والده فكرة سفره إلا أن إبراهيم استطاع أخيراً أن يدرس بالجامعة السلطانية في الأستانة.



السوريون في كتاب

التحق بعدها بالمدرسة الملكية للحقوق والإدارة في الأستانة، وتخرج فيها بما أهَّله إلى دخول العمل الوظيفي عند الحكومة وليتنقل في عدد من الوظائف الإدارية، وبالتالي بين عدد من المدن العثمانية. بدأ بالعمل مديراً للناحية في إحدى ضواحي اسطنبول لثلاث سنوات، ثم عُيِّن قائم مقام في أرضروم وبقي فيها أربع سنوات، حيث تزوج ورزق بابنة سمَّاها نباهت وبعد اثنتي عشرة سنة رزق بولد أسماه طارِقاً لتتوفى زوجته بعد خمسة عشر يوماً من ولادتها.

بعد ذلك عُيِّن قاضياً للتحقيق في كفر تخاريم لثلاث سنوات حتى انتهى به الحال عضواً في مجلس إدارة حلب لمدة أربع سنوات قبل أن يصبح رئيساً لديوان ولاية حلب سنة ١٩١٨. وقد تمَّ انتخابه ممثلاً لمدينة حلب في المؤتمر السوري الأول الذي انعقد في دمشق ١٩١٩.

عاش هنانو في وقت ضَعَفَ الأمة العربية واستبداد خصومها بشؤونها. فعمل على نهضتها، وجَهِدَ من أجل نصرتها وإعادة الحق المسلوب لها. وصرف وقته إلى قضية أكبر من نفسه. نظر إلى وطنه، فوجد كلَّ القوى الاستعمارية تعمل على تدميره، فقد احتلَّ الفرنسيون سورية، وطنه الغالي.

إبراهيم هنانو هو أحد رموز الثورات السورية التي اندلعت ضد المحتل الفرنسي، فقد قاد هذا البطل ثورة الشمال في الفترة (١٩١٩-١٩٢١) والتي تعتبر من أخطر الثورات التي واجهت الاحتلال قبل الثورة السورية الكبرى، عندما تمكنت من تحرير رقعة واسعة من شمالي البلاد وإقامة حكومة محلية وطنية، استطاعت حينها أن تتصل بالمحافل الدولية لشرح القضية السورية، وقد قامت تلك الثورة بتحريض من الحكومة العربية في دمشق.

وكان لأخته المجاهدة زكية هنانو دور كبير، حيث كرّست حياتها في سبيل أهداف شقيقها والمبادئ التي ناضل من أجلها، ووقفت ثروتها على الثورة الوطنية العامة.

لكن قبل عرض مراحل كفاح المناضل إبراهيم هنانو، سنلقي الضوء على مرحلة هامة من تاريخ الوطن العربي قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها.

ثانياً - الوضع السياسي في سورية قبيل الثورة .

كانت الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين في الحجاز في ١٠ حزيران ١٩١٦ على الدولة العثمانية، بتأييد

من الحركة العربية في دمشق^(٩) نقطة مفصلية في إضعاف الدولة العثمانية - دولة السلطنة والخلافة - وبخاصة عندما دمرَ الثوار الخط الحديدي الحجازي الذي كان يربط دمشق بالمدينة المنورة، وينقل الجنود العثمانيين وحلفاءهم الألمان وعتادهم إلى الجزيرة العربية، حيث يهدّدون المصالح البريطانية. وفي الوقت الذي كان فيه الإنكليز يفاوضون الشريف حسين لإعلان الثورة وإعطائه الوعود الزائفة بالاستقلال وبالخلافة، كانوا يخططون مع الفرنسيين لاقتسام بلاد الشام والعراق فيما بينهم، كما تبلور ذلك في اتفاقية سايكس - بيكو في ١٦ أيار ١٩١٦، وجاءت أحداث عام ١٩١٧ لتزيد في توتير الأجواء العالمية، من ذلك إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ألمانيا في نيسان ١٩١٧، وحدوث الثورة البلشفية في روسيا في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧، التي أدّت إلى خروج روسيا من الحرب وإعلان اتفاقية سايكس - بيكو السرية للعرب، ثمّ إعلان وعد بلفور

(٩) الحركة العربية في دمشق: هي الحركة التي شُنق زعماءها في دمشق وبيروت في ٦/ أيار / ١٩١٦/ من قبل الحكام العثمانيين (جماعة الاتحاد والترقي).

في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى، وتوقيع تركيا هدنة مودرس مع الحلفاء في ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٠، وجلاء القوات العثمانية عن آخر معاقلها في سورية بدير الزور في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٨، بعد أن انسحبت من دمشق في ٢٧ أيلول، ومن حلب في ٢٥ تشرين الأول، بدأت بريطانيا وفرنسا بتطبيق اتفاقية سايكس - بيكو، وتشكلت في هذه الأثناء حكومة عربية في دمشق برئاسة فيصل ودعم الإنكليز له.

وقد وضعت الحكومة العربية أسس الدولة العربية الحديثة بإقامتها المؤسسات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية. واعتمدت سجلات محكمة البداية في دمشق تاريخ ابتداء الدولة العربية في غرة محرم ١٣٣٧/٧ تشرين الثاني ١٩١٨، وبدأ ترقيم القضايا برقم واحد إثر ذلك، كما استخدمت اللغة العربية محل اللغة التركية في السجلات.

وتطبيقاً لاتفاقية سايكس - بيكو أخذت فرنسا بالتوسع العسكري على الساحل السوري باتجاه الشمال ثم حلب وكيليكيا. وحدث تقارب في هذه الأثناء بين حكومة فيصل



وحكومة مصطفى كمال، المنشق عن حكومة السلطان العثماني المهزومة تجاه العدو المشترك فرنسا، التي أُعطيت كيليكيا السورية بموجب معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠، كما تقاسمت فيها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان معظم الأراضي التركية. وتحدثت الأنباء عن عقد اتفاقية تحالف بين فيصل ومصطفى كمال في ١٦ حزيران ١٩١٩، وأشارت المصادر البريطانية التي أوردت نص هذه الاتفاقية باللغة الفرنسية إلى أنها سرية ومزعومة، وأنها حصلت عليها بواسطة عميل من موظف في وزارة الداخلية في استانبول. وليس هناك من مصادر تثبت صحة هذه الاتفاقية، إلا أن الأجواء آنذاك ترجح عقدها، ومن ذلك حاجة كل من الحكومة العربية وتركيا إلى التعاون ضد العدو المشترك فرنسا. كما أن الاتصال وإرسال الوفود بين الطرفين كان مستمراً، وذكر أن الأمير فيصل سافر من دمشق إلى حلب في ٩ حزيران حيث ألقى خطاباً في النادي العربي. ومما يجدر ذكره أن البند التاسع والأخير من الاتفاقية يذكر أنها كتبت على نسختين وقعتا وتبودلتا في حلب في ١٦ حزيران ١٩١٩، بواسطة أسعد بك متصرف الكرك، يلي ذلك اسم مصطفى كمال واسم الشريف فيصل.

ثالثاً - هنانو ومقاومة الاحتلال:

عُقد اجتماع في منزل قائم مقام إدلب عمر الأفيوني في النصف الثاني من عام ١٩١٩ برئاسة هنانو. ضمّ الاجتماع كبار وجهاء إدلب والمناطق المجاورة لها، وقام باستدعاء عدد من أهالي قريته الذين يثق بوطنيتهم وقدراتهم لتشكيل أول مجموعة في المنطقة الشمالية، حيث تمكن الوطنيون من تنظيم أنفسهم في جمعية أطلقوا عليها اسم جمعية الدفاع الوطني، وقد تمّ تقديم السلاح والذخيرة لهذه المجموعة الثورية النواة، وكان مردود ذلك جيداً فارتفع عدد المجاهدين فيها إلى أربعين. وقد دفع حماس إبراهيم هنانو للنضال ضدّ المحتل الأجنبي والي حلب آنذاك رشيد طليع إلى الاعتماد على إبراهيم هنانو لتوسيع رقعة الثورة، بإيعاز من الحكومة الفيصلية واستقر رأي هنانو على تشكيل مجموعة قليلة سريعة الحركة، تعمل على خلق الفوضى وإثارة الذعر في نفوس المحتلين الفرنسيين الذين احتلوا مدينة إنطاكية والتي كانت تحت سيطرة عزة هنانو أخ إبراهيم الذي اضطر لتسليم المدينة بناءً على أوامر الحكومة العربية في سورية.

قام هنانو بجمع أثاث بيته وأحرقه معلناً بداية الثورة، (لا أريد أثاثاً في بلد مستعمر). وكان أول صدام مسلح بين الثوار والقوات الفرنسية في ٢٣ تشرين أول ١٩١٩م حيث استمر القتال لقرابة سبع ساعات.

وبعد أن بلغ عدد المجاهدين في قرية كفر تخاريم خمسين رجلاً بدأت حركة تجنيد مماثلة في القرى المجاورة حتى أصبح عدد المجاهدين ٤٠٠ مجاهد، وقامت هذه القوة بالهجوم ليلة ١٩ نيسان ١٩٢٠م على حارم فهزمت الفرنسيين وأجبرتهم على الانسحاب إلى القلعة الرومانية المجاورة، وبقيت هذه القوة محاصرة حتى سقوط دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠م.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

التهديد الفرنسي لسورية وإنذار غورو

في هذه الأثناء وقّعت فرنسا الهدنة مع القوات الكمالية التركية في شمالي سورية. وفي أيار ١٩٢٠م تفرّغت لحشد قواتها التي كانت تتدفق على المنطقة الساحلية والشمالية من سورية استعداداً لاحتلال سورية الداخلية، وفي ١٤ تموز تلقى فيصل إنذاراً من غورو تضمن في مقدمته سيلاً من الاتهامات للحكومة العربية على مساعدتها الثوار وعدم شرعية ملكية فيصل والمؤتمر السوري، وعلى الملك فيصل تنفيذ شروطه، وهي الاعتراف بالانتداب الفرنسي بدون قيد أو شرط، وإلغاء التجنيد الإجباري، وتسريح الجيش، وقبول التعامل بالنقد الورقي الذي تصدره الحكومة الفرنسية، ووضع السكة الحديدية تحت تصرف السلطة العسكرية الفرنسية، ومعاقبة الثائرين على فرنسا أو تسليمهم لها. وأعطيت الحكومة السورية مدة ١٠ أيام لتنفيذ الإنذار الذي كان بمثابة طلب استسلام كامل، لأن غورو كان مصمماً على دخول دمشق واحتلال سورية.



كان وقع الإنذار شديداً على السوريين، وأدركوا نوايا فرنسا في سعيها لاحتلال البلاد.

واجتمع المؤتمر السوري وهاجم بشدة التدابير الفرنسية، وعبر عن رفضه الكامل لإنذار غورو، وهاجم الحكومة التي بدأت تبدي استعدادات لقبول الإنذار.

درست حكومة فيصل إمكانات الدفاع ضد القوات الفرنسية فوجدتها غير كافية لصد الزحف الفرنسي، فقررت قبول الإنذار وأبلغت غورو ذلك، وقامت بتسريح الجيش وإلغاء التجنيد الإجباري.

صدرت أوامر غورو قبل يومين من نهاية الإنذار إلى القوات الفرنسية التي كانت تقاتل الكماليين في الشمال بقيادة الجنرال دي لاموت بالتوجه لاحتلال شمالي سورية، فتقدمت في ٢٢ تموز نحو حلب واشتبكت قرب المسلمية مع قوات المتطوعين من الأهالي الذين سارعوا لحمل السلاح، وقد تمكنت القوات الفرنسية من الانتصار لتباين العدد والعتاد، ودخلت فرنسا مدينة حلب يوم الجمعة ٢٣ تموز أي قبل يوم من معركة ميسلون.

معركة ميسلون واحتلال دمشق:

عندما بلغ الحكومة العربية في دمشق زحف الجيش الفرنسي نحو العاصمة دون أن يلقى أية مقاومة بسبب تسريح الجيش قرّرت في اللحظات الأخيرة المقاومة، ودعوة الشعب للتطوّع، وأذاع الملك بياناً يدعو فيه الشعب لصدّ الغزاة، وسارع يوسف العظمة لتجهيز قوات الدفاع عن دمشق وأوقف عمليات التسريح، وتجمّع لديه قرابة ثلاثة آلاف متطوع من أعضاء الأحزاب والجمعيات الوطنية ومن جماهير الشعب المتحمّس لصدّ العدوان، وخرج يوسف العظمة بقواته إلى ميسلون حيث جرت المعركة صباح يوم السبت ٢٤ تموز ١٩٢٠م، وحاول المجاهدون وقف تقدّم القوات الفرنسية في معركة غير متكافئة من حيث العدد والتنظيم والعتاد، إلا أنّ طائرات ومدافع العدو قد حصدت المجاهدين وسقط يوسف العظمة شهيداً لتتقدّم القوات الفرنسية وتحتل دمشق يوم ٢٥ تموز ١٩٢٠م.

وبعد دخول الجيش الفرنسي مدينة حلب يوم الجمعة ٢٣ تموز ١٩٢٠م. انسحب هنانو من حلب إلى مسقط رأسه كفر تخاريم، وبدأ بإعادة تنظيم الثورة بالتعاون مع المجاهد

نجيب عويد، واستقر رأي الثائرين على تشكيل حكومة مدنية مقرها أرمناز، وأوكل إليهم تنظيم الأمور المالية والاقتصادية للثورة والمجتمع، وعقد اجتماع يضم وجهاء نواحي المنطقة الشمالية لمفاتيحتهم بأمور الثورة، وسفره إلى تركيا كي يطلب من حكومتها مساعدة الثائرين ضد الاستعمار الفرنسي.

في هذه الفترة أصدر غورو في ٣١ آب ١٩٢٠م قراراً يقضي بتجزئة سورية عن طريق تقطيع أوصالها بتقسيمها إلى خمس دول (دمشق - حلب - اللاذقية - جبل العرب - لواء اسكندرون).

انطلق هنانو في شهر آب ١٩٢٠م إلى مدينة مرعش ليقابل قائد الفيلق الثاني التركي، حيث عقد معه اتفاقية كي تمد الحكومة التركية الثورة بالأسلحة والذخيرة، وتم توقيع هذه الاتفاقية في ٦ أيلول من عام ١٩٢٠م.

بعد عودة هنانو إلى سورية قام بتقسيم المناطق الشمالية إلى أربع مناطق لمقاومة الفرنسيين، وأوكل كل منطقة لأحد المجاهدين على الشكل التالي:

- منطقة القصير بقيادة الشيخ يوسف السعدون.



- منطقة كفر تخاريم بقيادة نجيب عويد .
- منطقة جبل الزاوية بقيادة مصطفى الحاج حسين.
- منطقة جبل صهيون بقيادة عمر البيطار.

هنانو وإعلان الثورة على المستعمر :

بعد استتباب الأمور التنظيمية، قام هنانو بإعلان الثورة في أواسط شهر أيلول ١٩٢٠م بإذاعة بيان على الشعب حضَّ به على الثورة جاء فيه: (يا أبناء سورية الأشاوس يا أباة الضيم من قمة هذا الجبل الأشم أستصرخ ضمائرکم وأقول لکم إن بلادنا العزيزة أصبحت اليوم محتلة مهددة من قبل المستعمرین، أولئك الذين اعتدوا على قدسية استقلالنا وحریاتنا فیا أبطال الوغى ویا حماة الديار إلى الجهاد إلى النضال).

وعلى إثر ذلك وصل رسول من الشيخ صالح العلي قائد الثورة في الجبال الساحلية عارضاً على هنانو التعاون بين الثورتين، فرحَّب هنانو بذلك واستقرَّ الرأي أن تقوم قوات الثورة الشمالية باحتلال جسر الشغور لترسيخ وضع كل من الثورتين.

رابعاً: معارك هنانو:

لم يرق لإبراهيم هنانو أن يرى بعينه تصرف المحتل الغاصب والغاشم في أمور بلده، وكان من مناهجه عدم الاعتراف بالدولة المنتدبة، وعدم الاعتراف بإقامة دولة صهيونية على أرض فلسطين، وخاض من أجل هذا سبعا وعشرين معركة في عشرين شهراً لم يصب خلالها بهزيمة واحدة. وكانت المعارك في ضواحي حماة والمعرّة وحارم، ونواحي جسر الشغور واستطاع أن يكبد المحتل الفرنسي كثيراً من الخسائر الفادحة في أواخر شهر تشرين الثاني ١٩٢٠م، فقد تقدم هنانو باتجاه جسر الشغور مع ثلاث سرايا من المجاهدين، وعندما وصلت الحملة في منتصف ليلة ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠م إلى مزرعة الشغارنة التي تبعد حوالي ٣ كم عن جسر الشغور تبين لها وجود سرية فرنسية في المزرعة المقابلة المسمّاة مزرعة السيجري، ونظراً لاستحكام الفرنسيين في تلك المزرعة وضع هنانو خطة لوضعهم بين فكي كماشة، فأوعز للمجاهد يوسف السعدون أن يلتف مع عناصر سرّيته وراء الفرنسيين فيما هاجمهم هنانو من الأمام، وقد نفذت الخطة بشكل جيد ما دفع الفرنسيين للاستسلام في نهاية الأمر.

وأسر المجاهدون فصيلة من ٢٥ جندياً يقودهم ضابط،
وفصيلتين من المرتزقة عددهم ٥٧ رجلاً بإمرة ضابط،
وغنموا مدافع رشاشة وبغالاً وكمية كبيرة من الذخيرة. بعد
هذه المعركة استسلمت حامية جسر الشغور بدون قتال
ودخلت قوات المجاهدين المدينة فاستقبلها الأهالي استقبال
الأبطال.

انتصار الثوار على الجيش الفرنسي بقيادة هنانو:

مع وصول أخبار انتصارات إبراهيم هنانو إلى الفرنسيين
قرروا استعادتها مهما كلف الأمر، فقاموا بتسيير حملة
قوامها لواء معزز من ٢٥٠٠ جندي، ولما سمع المجاهدون
بقدوم هذه الحملة نصبوا لها كميناً في مدينة إدلب في ٢٩
تشرين الثاني ١٩٢٠م، حيث اختلط المجاهد نجيب عويد مع
مجاهدين آخرين بين صفوف الأهالي المتفرجين على
الحملة، وفور انتهاء مرورها أمطروها بوابل من الرصاص ما
تسبب بسقوط ٦٣ قتيلاً فرنسياً، وانسحب المجاهدون بعد
استشهاد أربعة منهم.

بعد معركة إدلب أدرك الفرنسيون حجم وخطورة الثورة
التي اندلعت في الشمال، وصمموا على ضرب مركز الثورة،

فانطلقوا نحو كفر تخاريم، ودخلوها في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٠م، بعد أن فقدوا ٤٠ قتيلاً في القرى المجاورة ومشارف كفر تخاريم نفسها، وسقط في تلك المعارك ثلاثة شهداء وانسحب البقية إلى الجبل الغربي.

لم يطل الوقت بالمجاهدين حتى استعادوا كفر تخاريم بمعركة بطولية قادها المجاهد نجيب عويد مع نفر من المجاهدين حيث قسم عويد المجاهدين إلى ثلاث فرق:

فرقة تأتي من الشرق وأخرى من الجنوب والبقية ظلت مع القائد عويد، وعند بزوغ الفجر كان رفع الأذان إشارة الانطلاق، فباشر المجاهدون إطلاق النار وقذف القنابل اليدوية على المخيم، وما كاد شروق الشمس يسطع حتى توافدت النجدة من القرى المجاورة فازداد عدد المجاهدين وزاد تصميمهم، وفي النهاية حصر المجاهدون القوات الفرنسية في أرض منخفضة نسبياً من ثلاث جهات ولم يبق لها منفذ إلا من الشمال، فانسحبت شمالاً باتجاه حارم تاركة ما يزيد على ١٣٠ قتيلاً فيما سقط من الثوار ١٢ شهيداً.

انتصارات أخرى للثورة في الشمال السوري:

بعد معركة كفر تخاريم، وجد الجنرال دي لاموت قائد منطقة حلب العسكرية نفسه في وضع يضطره إلى القضاء على الثورة مهما بلغت التضحيات، فوجّه حملة بقيادة الكولونيل ديبووفر انقسمت إلى رتلين الأول انطلق من مخفر الحمام والثاني انطلق من إدلب في الجنوب وكانت غاية الفرنسيين من ذلك محاصرة قوات هنانو ولكن أياً من الرتلين لم يحقق مهمته، إذ تصدّى للأول الشيخ يوسف السعدون ورفاقه عندما حاول الرتل اجتياز نهر العاصي للوصول إلى الضفة الشرقية عند موقع جسر الحديد، ومُنّي بخسائر كبيرة قبل أن يتمكن من اجتيازه، أما قوات الرتل الثاني فاصطدمت مع المجاهدين في ٧ كانون الأول في منطقة كفر سرجة، وفي ٨ كانون الأول اصطدمت معهم في قرية طلينا ما أدّى إلى خسائر كبيرة في صفوف الفرنسيين منهم ضابطان، وبعد التقاء الرتلين قامت الحملة مجتمعة بمهاجمة منبج فلم تقدر على احتلالها إلا بعد معركة عنيفة خسرت بها ضابطاً وعدداً من القتلى.

في ٢٩ كانون الأول ١٩٢٠م كانت الحملة قد خسرت عدداً كبيراً من القتلى ما استدعى إعادتها إلى حلب لتنظيمها من جديد.

بعد إعادة حملة ديبوفر إلى حلب، سيّرت القوات الفرنسية حملة بقيادة الجنرال غوبو في محاولة لتلافي أخطاء الحملة السابقة، وكان قوام الحملة مؤلفاً من فرقة مشاة معرزة فتجنب الثوار مواجهتها في منطقة مكشوفة، واعتمدوا أسلوب المباغتة بمجموعات قوية قليلة العدد سريعة الحركة، ولم تكد الحملة تجتاز جسر الشغور حتى وجدت نفسها هدفاً لحرب عصابات لم تستطع معها السير أكثر من كيلو متر واحد دون التعرّض لهجمة مفاجئة أو الوقوع في كمين منصوب.

نتيجة لذلك طلب الجنرال غوبو موافاته بإمدادات على وجه السرعة، فسيّرت له القيادة في حلب قافلة مؤلفة من ٣٦٠ جمللاً محملاً بمختلف أنواع الاحتياجات، ولكن هذه القافلة لم تصل، إذ كمن لها الثوار فغنموا الجمال بأحمالها وقتلوا ضابطاً مرافقاً لها تبين أنه ابن الجنرال غوبو نفسه. وفي ٣ شباط ١٩٢١م عادت حملة الجنرال غوبو منهكة إلى إدلب عن طريق جسر الشغور بعد معركة مع الثوار في

قرية الرامي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢١م فخسرت عدداً كبيراً من القتلى بينهم ضابطان.

لم تكد حملة غوبو تنتهي حتى عادت حملة ديبووفر الثانية بعد أن استكملت عددها وعدتها، وكان أول ما فعله ديبووفر أن طوّق قرية كللي بجنوده أواسط شهر شباط ١٩٢١م وفتش القرية بحثاً عن المجاهدين، فلما لم يجد أحداً منهم اعتقل ٢٧ من رجال القرية وأعدمهم، وتوجّه بعد ذلك بحملته إلى قرية زردنا، فحرق بيادرها وبيوتها وقام بتعذيب مختار القرية حتى الموت لأنه رفض أن يدلّه على أماكن تواجد الثوار.

نتيجة تشدّد الحملات الفرنسية، قام الثوار بنقل نشاطاتهم إلى جبل الزاوية بقيادة مصطفى الحاج حسين، فسيّرت السلطة الفرنسية حملة إلى الجبل مكوّنة من كتيبة مشاة معززة للقضاء على الثوار، فكمن المجاهدون للحملة في أعالي جبل الأربعين، وأطبقوا على الحملة من كل جانب ما أدّى إلى هزيمة الحملة بعد ثلاث ساعات من القتال المرير، وترك الفرنسيون في ساحة المعركة ٧٠ قتيلاً فيما سقط نصف هذا العدد من المجاهدين.

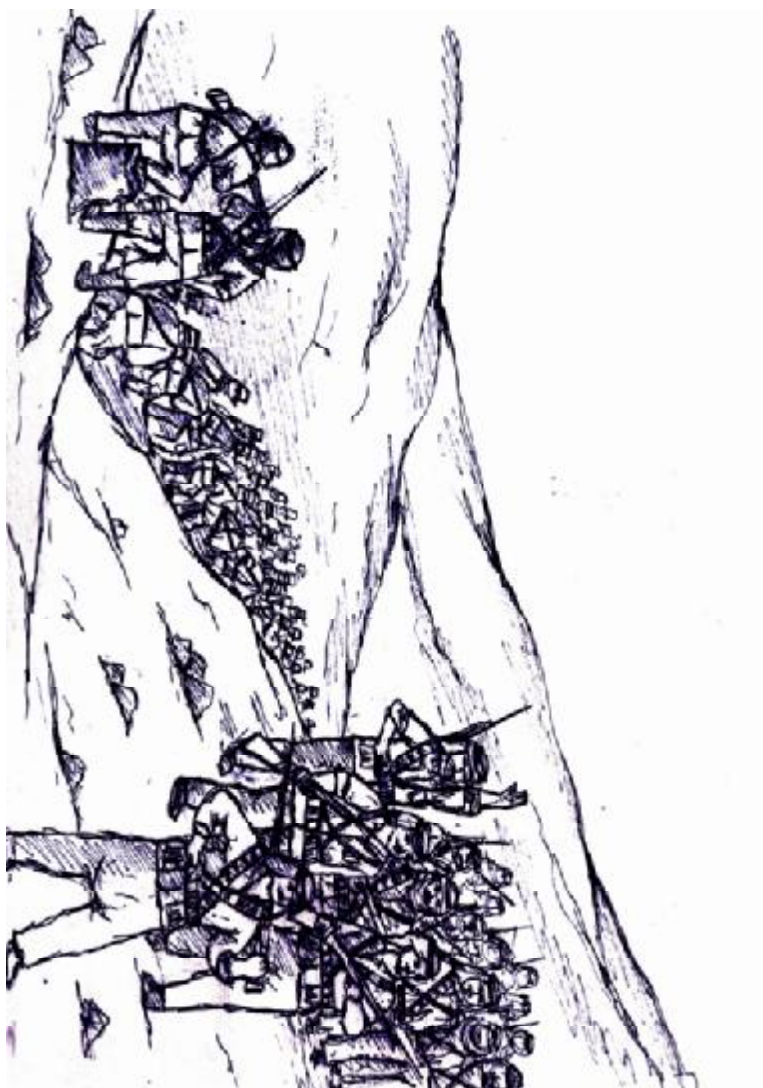
وفي ٧ آذار ١٩٢١م تحركت كتيبة من الجند بقيادة الكولونيل أندريه من جسر الشغور إلى دركوش، فتصدى لها المجاهدون بقيادة الشيخ يوسف السعدون قرب قرية الدويلة، وقتلوا عدداً كبيراً من أفرادها على رأسهم قائد الحملة الكولونيل أندريه نفسه، والذي أتت طائرة الجنرال دي لاموت خصيصاً لنقل جثمانه إلى حلب. وتعدّ معركة وادي درعان قرب قرية كفر سرجة أهمّ معركة لمجاهدي جبل الزاوية، والتي جرت في الأيام الأولى من شهر نيسان ١٩٢١م وأسفرت عن سقوط ما يزيد عن ١٢٠ جندياً فرنسياً فيما استشهد فيها ٦٥ من المجاهدين.

خامساً - هنانو ومفاوضات الثورة:

بعد أن وجد الفرنسيون صعوبة في القضاء على ثورة إبراهيم هنانو اقترح الكولونيل فوان على الجنرال غوبو قائد الفرقة الفرنسية المراقبة في إدلب إجراء مفاوضات مع هنانو من أجل إنهاء الثورة، ولم يمانع هنانو في إجراء المفاوضات سعياً إلى تخفيف قبضة الفرنسيين عن السكان المحليين الذين كانوا يتحملون القسط الأكبر من القمع الفرنسي، وتمّت المقابلة بين الطرفين في قرية نحلة يوم

الجمعة ٧ نيسان، وحضر من الجانب الفرنسي الجنرال غوبو والكولونيل فوان ومن الجانب الآخر حضر الزعيم هنانو وبصحبه عدد من زعماء الثورة، وقد عرض الجنرال غوبو على هنانو باسم السلطات الفرنسية تسليمه رئاسة حكومة محلية في أفضية حارم وإدلب وجسر الشغور بشرط أن يتم إنهاء الثورة وأن يسلم الثوار أسلحتهم فرد هنانو هذا العرض قائلاً: «إن من موجبات نقمة السوريين على سياستكم الاستعمارية إقامة هذه الدويلات، فهل أرضى لنفسى رئاسة دولة تعمل على تمزيق البلاد إلى دويلات؟ إن الفرنسيين دخلوا البلاد السورية من غير رغبة سكانها فليانسحبوا منها إلى خارجها، وليعلن في البلاد عن إجراء انتخابات حرة، حتى إذا ما تمت الانتخابات بجو هادئ واجتمع المجلس المنتخب، فإن إبراهيم هنانو سيكون في طليعة الذين يرضخون لمقرراته، ولو كانت قبول الانتداب الفرنسي على أن يتعهد الجانب الفرنسي باحترام هذا القرار مهما كان نوعه».

لم يقبل الجنرال بعرض هنانو ففشل الاجتماع وعاد كل من القائدين إلى مركزه بعد أن اتفقا على هدنة تنتهي بعد ٤٨ ساعة، ولم تكد الهدنة تنتهي في صباح ٢٠ نيسان



١٩٢١م، حتى كانت الطائرات تلقي بحممها على المجاهدين، والمدفعية تدكُّ معاقلهم في الجبال، وتسلق الجنود الفرنسيون جبل الزاوية من شرقه مستخدمين مختلف صنوف الأسلحة، واضطر الثوار إلى الانسحاب من الجبل والطائرات تلاحقهم أينما ذهبوا.

وبما أنَّ نقص الذخيرة كان واحداً من أهم أسباب انسحاب الثوار، فقد أرسل هنانو المجاهد نجيب عويد إلى مناطق حماة لتأمين الأسلحة والذخيرة، فيما أرسل رسولاً آخر إلى تركيا لنفس الغاية إلا أنَّ عويد عاد خالي الوفاض، فيما رفض قائد الفيلق الثاني تسليم رسول هنانو أية كمية من الذخيرة بناء على أوامر من الخارجية التركية التي كانت قد دخلت في مفاوضات مع فرنسا للاتفاق على سحب القوات العسكرية الفرنسية من كليسيا.

هنانو إلى شرقي الأردن ثم القبض عليه في فلسطين:

كان وضع الثوار قد أصبح حرجاً فقد خسرت الثورة العديد من مجاهديها الأبطال، ونفذت الذخيرة من أسلحة المقاتلين. فيما كانت القوات الفرنسية تلاحقهم في كل قرية وناحية. على إثر ذلك دعا هنانو لمؤتمر عام حضره جميع

قادة الثورة وشرح لهم وضع الثورة، وتباحث معهم عما يمكن فعله، وقد انقسم المجاهدون في آرائهم، فمنهم من رأى الاتجاه للأراضي التركية المتاخمة حتى يتمكنوا من شن الغارات على المستعمرين، كلما سنحت لهم الفرصة، وكان المجاهد نجيب عويد من أنصار هذا الرأي، فيما رأى الزعيم هنانو الذهاب إلى الأردن بعد أن سمع بيان الأمير عبد الله وأنه قدم من الحجاز لمحاربة القوات الفرنسية وتحرير سورية.

ووافق في ذلك جمع من المجاهدين، أما الفريق الثالث فكان معظمه من كبار السن وممن تقعده مسؤوليته العائلية عن السفر والرحيل فآثر البقاء، على أن يبقى رهن إشارة قائد الثورة للعودة إلى الجهاد في أي وقت، وعلى ذلك سارت كل فئة إلى سبيلها.

في ١٢ تموز توجه هنانو ورفاقه إلى شرق الأردن عن طريق بادية الشام لكنهم تعرضوا للعديد من المتاعب والمعارك. حيث جرت معركة كبيرة بالقرب من مدينة حماة سُميت معركة مكسر الحصان بين الثوار والفرنسيين استشهد فيها العديد من الثوار، وكانت القوات الفرنسية

تسعى لأسر إبراهيم هنانو حياً ومحاكمته. وصل هنانو وحده إلى جبل العرب ومنها تمكّن من المغادرة إلى عمّان، ولم يطل المقام كثيراً بهنانو في الأردن، إذ لم يرحّب الأمير عبد الله بمساعدته فتوجّه إلى فلسطين. وهناك قبضت عليه السلطات البريطانية في القدس وسلّمته للفرنسيين.

سادساً - محاكمة هنانو :

في أوائل شهر تموز ١٩٢١م نشرت الجرائد السورية خبراً مفاده أن اتفاقاً عقد بين المفوض السامي في سورية ولبنان وبين المفوض الإنكليزي في فلسطين بشأن تبادل المجرمين في كل من البلدين، ولم تمض بضعة أيام على هذا الاتفاق حتى أذاعت الجرائد نفسها بأن السلطة البريطانية في فلسطين ألقت القبض على إبراهيم هنانو وسلّمته إلى السلطة الفرنسية.

وكان هنانو قد لجأ إلى الأراضي الفلسطينية هرباً من الفرنسيين الذين بثوا عليه العيون والأرصاد في كل مكان. وفي منتصف شهر آب ١٩٢١م شاع في أرجاء المدينة أن إبراهيم هنانو وصل إلى حلب موقوفاً وأودع السجن العسكري، وكان السجن يومئذ في الخان المعروف بـ(خان

استانبول). لقد عُرض على إبراهيم هنانو الكثير من المحامين لكي يدافعوا عنه، فاحتار في أمره وخطر بباله أن يستحلف النائب العام العسكري الفرنسي بشرفه العسكري أن يدلّه على المحامي الذي يختاره هو، فيما لو كان متهماً مثله فأسرّ في أذنه أنه لو كان متهماً لاختار فتح الله الصقال، وهو محامي شاب في السابعة والعشرين من عمره وكان محامياً ناهياً لفت الأنظار إليه في هذه السن المبكرة.

في صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر أيلول عام ١٩٢١م، وردت إلى المحامي الشاب تذكرة بإمضاء النائب العام العسكري الفرنسي وفيها أنّه يسمح له بمقابلة المتهم إبراهيم هنانو بصفة وكيلاً عنه، وعندها توجه المحامي إلى السجن ثم سار به مدير السجن إلى غرفة إبراهيم هنانو، وكانت صغيرة وقد وضع فيها وحده فسأله هنانو: أنت الأستاذ فتح الله، فأجابه المحامي: نعم. فقال: لقد اخترتك وكيلاً عني. فقال له: أشكر لك ثقّتك بي.

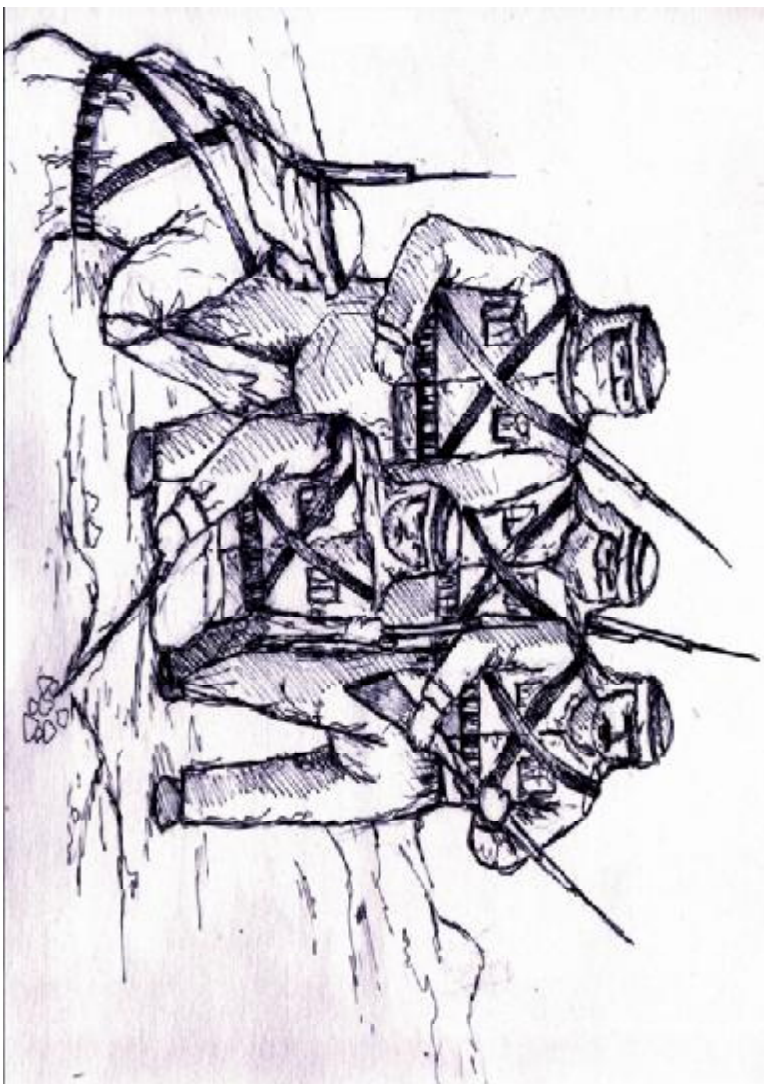
وبقي بقربه ساعتين كاملتين قصّ خلالهما قصة كفاحه العنيف ونضاله في سبيل أمته وبلاده، فشعر المحامي الشاب فوراً بأنه أمام رجل زكي النفس، صلب العقيدة، قوي الإرادة، وكانت عيناه تشعان بنور غريب، وتكادان تقذفان شرراً.

هنانو قائد ثورة وليس مجرمًا! :

وبعد دراسة دقيقة توصل المحامي فتح الله إلى نتيجة مفادها أنه ليس هناك ما يبرر اعتبار هنانو مجرمًا عاديًا، ولا يمكن أن يعد مجرمًا سياسيًا لأسباب كثيرة وهي:

أن هنانو قام بثورته مطالباً بحرية بلاده، والمطالبة بالحرية لا تعدُّ جرماً بل حقاً طبيعياً اعترفت به الدول الكبرى، وأن السلطة العسكرية الفرنسية نفسها اعترفت بأن هنانو ورجاله يشكلون طرفاً محارباً، كما أن هنانو قابل الجنرال غوبو قائد الحملة الفرنسية ضد الثورة السورية ليتفق معه على شروط الهدنة، وعقد معه اتفاقين لإجراء هدنتين، واتفق معه على تبادل للأسرى، حتى أن إلقاء القبض على هنانو في فلسطين وتسليمه إلى السلطة الفرنسية في سورية يخالف قواعد القانون الدولي.

وعليه يجب على المحكمة أن تعيد هنانو إلى فلسطين. أو يطلق سراحه في الأراضي السورية. وفي محاولة أخيرة من المحامي بعث الأخير كتاباً إلى الجنرال غورو يطلب منه اعتبار هنانو تابعاً من الناحية العسكرية للجيش التركي الذي كان يمهده بالسلاح، وبالتالي شموله بالعفو العام عن الجرائم



السياسية التي ارتكبت أثناء العمليات العسكرية بين الفرنسيين والأتراك.

أصرت المحكمة العسكرية على متابعة المحاكمة، واعتبار هنانو متهمًا بجرائم عادية لا جرائم سياسية، وأنه لا بد من السير في الدعوى وانتظار نتيجة التحقيقات.

وظلت التحقيقات بعد ذلك تجري في مجراها الطبيعي مدة ستة أشهر فكان النائب العام العسكري يستمع إلى الشهود لإثبات التهم المنسوبة إلى هنانو، وكان المحامي يقدم الشهود تلو الشهود ليبين أن هنانو لم يقوم إلا بعمليات حربية تجيزها الحرب.

الفصول المثيرة في محاكمة هنانو:

في مطلع شهر آذار ١٩٢٢ تبليغ المحامي أن المحاكمة ستبدأ في اليوم الخامس عشر من آذار في دار الحكومة (السراي القديمة). وقبل انعقاد الجلسة بثمانية أيام أبلغ المحامي فتح الله النيابة العامة أنه سيقدم مدافعتين تهدفان إلى إثبات عدم صلاحية المحكمة العسكرية في محاكمة هنانو، وفي حال رد المحكمة هذا الدفاع نكون أمام دفع إلى عدم قانونية تسليم هنانو إلى السلطة العسكرية الفرنسية.

في صباح يوم ١٥ آذار ١٩٢٢ وهو اليوم المعين للمحاكمة. اصطف الجنود على جانبي الطريق الممتد من بناية البريد القديمة إلى مدخل دار الحكومة التي فيها قاعة محكمة الجنايات، وقد غصت جميع الطرق المؤدية إلى مكان المحاكمة بعشرات الألوف من أبناء الوطن، كما غصت دار العدل بالمتفرجين من متحاكمين ومحامين ومستمعين. وفي تمام الساعة الثامنة خرجت الهيئة الحاكمة بألبستها الرسمية وسيوفها اللامعة وكفوفها البيض، وكانت مؤلفة من خمسة أعضاء.

ولما جلس القضاة العسكريون على مقاعدهم ساد القاعة سكوت رهيب.

هنانو ودفاع وطني متألق عنه:

وقد جاء في الدفاع عن إبراهيم «أن الماثل أمامكم ليس بالرجل الذي وصفه النائب العام (المجرم الشقي)، لأن من يناضل لأجل حرية بلاده، ويعمل في سبيل هدف سام دون أن يخشى التضحية بحياته، وبأمواله ليقينه أنه على حق، هذا الرجل لا يستحق أن يُلقى على هذا المقعد، وقد ناهض هنانو الانتداب الفرنسي، وسينا هض الانتداب البريطاني،

وكل انتداب أجنبي آخر لا اعتقاده أن الاستقلال التام يضمن سعادة بلاده، ولاقتناعه بأن سورية جديرة بإدارة شؤون أبنائها بنفسها، وإذا تخلصت من نير الأتراك فليس معنى ذلك أن تقع تحت نير جديد. إن استقلال سورية الكامل هو المثل الأعلى الذي توخاه هنانو منذ كانت البلاد تقع تحت نير العثمانيين، وبذل كل جهد لتحقيق أمنيته، ولم يكن وحده بدليل انعقاد مؤتمر باريس عام ١٩١٣م، حيث رفع فيه المؤتمرون أصواتهم القوية مطالبين باستقلال الوطن السوري».

أما من حيث عدم قانونية إخراج هنانو من فلسطين، فهذا الأمر يتعلق بالاتفاق المعقود بين المفوض السامي الفرنسي وبين المفوض السامي الإنكليزي بشأن تبادل المجرمين وأنه في الحقيقة عُقدَ خصيصاً لتسليم إبراهيم هنانو، في حين أن المعاهدات الرامية إلى تسليم المجرمين لا يجوز أن تتم إلا إذا أقرها المجلس النيابي الفرنسي وصدق عليها رئيس الجمهورية.

ولما كان المفوض السامي الفرنسي في سورية ليس رئيساً للجمهورية ولما كان المجلس النيابي لم يقر تلك المعاهدة فليس للاتفاق المذكور أية قيمة قانونية من الوجهة الدولية.

ومن جهة ثانية متعلقة بالشخص الذي يسلم من دولة إلى دولة أخرى فإن لهذا الشخص كامل الحق في أن يطعن أمام المحكمة بعدم قانونية تسليمه وفقاً للقانون الدولي، وعلى المحكمة أن تتحقق فيما إذا كان التسليم قد جرى وفقاً للقوانين المبرمة بين الدولة التي سلمت الشخص وبين الدولة التي تسلمته، وأخيراً إن تسليم المجرمين السياسيين لا يجوز وفقاً للمبادئ المتفق عليها في القانون الدولي.

ومن الأمور المنسوبة إلى إبراهيم هنانو يتضح لنا جلياً أنها لا تتجاوز نطاق الجرائم السياسية، ولكنها تمت بصلّة وثيقة إلى الأعمال الحربية التي تجيزها الحروب.

وخلص المحامي إلى القول: إن تسليم هنانو مخالف للأصول القانونية والدولية المتبعة، وإن الاعتراف بالخطأ الناجم عن هذا التسليم يشرف القضاء الفرنسي الذي كان ولا يزال عاملاً قوياً بارزاً في حقل التشريع المبني على احترام حقوق الإنسان. وبعد ذلك دخلت الهيئة الحاكمة إلى غرفة المداولات وما لبثت أن عادت وردت هذه المرافعة بأربعة أصوات من خمسة أصوات؛ هنا شعر المحامي بنفحة من الأمل وقررت المحكمة الدخول في أساس الدعوى.



الجلسة الثانية للمحاكمة ومجرياتها:

عقدت جلسة ثانية بعد الظهر، بدأت بتلاوة لائحة الاتهام من قبل كاتب الضبط، وعُزي فيها إلى هنانو سبعة أنواع من الجرائم، ثم بدأ الرئيس باستجوابه عن كل جريمة من الجرائم المنسوبة إليه. وكان هنانو يمتاز بالنباهة والذكاء والثقافة والجرأة، وهي صفات سهّلت مهمة المحامي كثيراً، وراح هنانو يرد الاتهامات التي كان يوجهها له الرئيس أثناء استجوابه، وبعد اتهامه بالاشتراك مع عصابات الأشقياء وتروّسه إدارة حملاتهم، أجاب هنانو بملء الجرأة: «إنني لا أعد مجرمًا لأن أمرنا سياسي صرف، أما غايتنا من تشكيل مجموعات المقاتلين لم تكن بقصد الفتك والنهب، وإلا لاجتاحت هذه المجموعات البلاد وأتت على ما فيها، ولقاومنا الشعب وسحقنا سحقاً، فقواتنا إذاً مؤلفة من أفراد الشعب صاحب الحق»، وقال: إنني متهم سياسي فقط، ولو كنت مجرمًا عادياً لما فاوضني ممثلكم الجنرال غوبو بشأن عقد هدنة ومبادلة الأسرى، ولما عقدت معي حكومة أنقرة التي تعترفون بها اتفاقاً لأن الحكومتين الفرنسية والتركية أسمى وأجلّ من أن تتنازلا لمفاوضة مجرم شقي، ثم إننا لم

نعمد إلى الوسائل الحربية إلا للدفاع عن أنفسنا، وقال: أنا
تأثر سياسي أدافع عن وطني، وقد جاهرت وسأجاهر بأني
أتبرأ من كل مجرم سفاك. فقال له الرئيس: إذا أنت تتصل
من المسؤولية. فأجابه هنانو: إن الرجل الذي قاوم الانتداب
الفرنسي لن يتصل من مسؤولية تعود تبعيتها عليه.
عندها سأله الرئيس: مَنْ اضطرَّك إلى أن تحارب؟
فأجابه: عندما أهاجم أعدو مضطراً لأن أدافع عن نفسي.
قال له: لو بقيت آمناً مطمئناً في منزلك لما حدث ما
حدث ولما وقفت هذا الموقف. فأجابه هنانو: هذا اجتهد
خاص ولا يلام المرء على اجتهاده.

استأنفت المحكمة أعمالها في اليوم الثاني، وبدأت بسماع
شهود الإثبات وكان عددهم يزيد عن السبعين. فقد استغرق
سماعهم أربعة أيام متوالية حدث خلالها جدال عنيف بين
النيابة والدفاع في تفنيد الشهادات، ثم جاء دور شهود
الدفاع، وكان بين شهود الدفاع السادة فخري الجابري وسعد
الله الجابري، والدكتور عبد الرحمن كيالي وشاكر نعمت
الشعباني، وأحمد المدرس، والشيخ عبد الوهاب طلعت
والشيخ كامل الغزي، وعبد الوهاب ميسر، والأستاذ راشد
المرعشي وغيرهم.

وكانت شهاداتهم كلها تؤيد ما يتحلّى به إبراهيم هنانو من وطنية صادقة، وتهدف إلى الإشادة بمبادئه العالية وتجربته التام.

النائب العام الفرنسي يطلب إعدام هنانو:

وفي اليوم السابع من المحاكمة طلب الرئيس من النائب العام الفرنسي أن يبيدي مطالعته، فتحدّث حوالي ثلاث ساعات، وختم المطالعة بقوله لو كان لإبراهيم هنانو سبعة رؤوس بعدد جرائمه السبع لطلبت إعدام رؤوسه السبعة، ولكنه لا يملك إلا رأساً واحداً، ويؤسفني أن أطلب إعدام هذا الرأس فقط ليكون عبرة لغيره، أطلب ذلك بالرغم ممّا يحويه رأس هنانو من دراية واتزان.

الوطنية وبراعة محامي الدفاع:

لما طلب رئيس المحكمة من محامي الدفاع إلقاء دفاعه، شعر الأخير برعشة قوية اهتزّ لها كيانه، لأنه أدرك خطورة الموقف وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه في ذلك اليوم المشهود، لأنه إما أن يخرج من موقفه الخطير مخذولاً، وإما أن يفوز وينقذ حياة أحد زعماء الأمة. بدأ المحامي بالحديث

عن التهم الموجهة لهنانو تهمة تهمة، ويبيدي دفاعه فيها. وكان أولها وأهمها تهمة تشكيل عصابة من الأشقياء، وترمي هذه التهمة إلى أن هناك اتفاقاً جنائياً تم بين هنانو ورفاقه في الثورة، مبيناً أن هنانو كان قائداً لثورة اعتنق رفاقه مبدأها، ولا بد أن ينجم عن كل ثورة تعديات على الأشخاص والأموال.

وأضاف المحامي لو كان هنانو من الأشقياء كما قال النائب العام لما عقدت معه هدنتان، ولما اتفق معه على تبادل الأسرى، ولما عرض عليه الكولونيل فوان أن يبقى رهينة لدى رجال هنانو ريثما تتم المقابلة بين الجنرال غوبو وبين هنانو، وكان من نبل أخلاق هنانو وسعة مروءته أن رفض ما عرضه عليه الكولونيل فوان قائلاً له أنه واثق بالشرف العسكري الفرنسي. وعليه إن هنانو قام بثورته مدفوعاً بعاطفة وطنية نبيلة تماثل العاطفة التي هزت فرنسا من أقصاها إلى أقصاها حينما احتلت ألمانيا في حرب ١٩١٤م بعض البلاد الفرنسية، فأبى الفرنسيون أن تداس أرض الوطن، وهبوا يقاتلون ويستبسلون في الكفاح حتى خرجت فرنسا من خلال هذا النضال منتصرة ظافرة، بعد أن ضحّت بمليونين من شبابها، وبعد أن أمست كثير من مدنها الزاهرة أطلالاً دوارس.

إنَّ الوطنية ليست وقفاً على فرنسا وأبنائها، وإنما هي عاطفة طبيعية متغلغلة في أعماق النفوس، تشعر بها كل أمة من أمم الأرض ومنها الأمة السورية.

كان لتلك الكلمات وقع مغاير على أسماع من كان حاضراً، وعلى رأسهم الهيئة الحاكمة. أنهى المحامي دفاعه عن التهمة الأولى وأتبعه بالدفاع عن التهم الست الباقية المتفرعة عن التهمة الأساسية، وأثبت من حيث الوقائع المادية أنَّ إبراهيم هنانو ليس قائداً عسكرياً، بل زعيماً سياسياً، وأنَّ هذه الأعمال كلها إنما حدثت بدون علمه، وأنه عندما اطلع عليها استنكرها وختم دفاعه بالقول: أشكر لكم إصغاءكم طيلة أربع ساعات أبدىتم خلالها كثيراً من الحلم والأناة، وأنتم قدم إليكم برجاء أخير وهو أن تنسوا لحظة واحدة أنكم ضباط فرنسيون، وأن تتجرّدوا لحظة واحدة من بزاتكم العسكرية الأنيقة، وأن تعودوا رجالاً عاديين، وأن تقدروا المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقكم، وأن تفوضوا إلى أعماق ضمائرکم ثم تصدروا قرارکم.

وأضاف: إنَّ قرارکم في هذه الحال لن يكون إلا قرار براءة، إنكم ستبرئون هنانو، لأنه لم يأت في كفاحه السياسي ضدَّ

فرنسا بأيّ عمل يستحق العقاب، ولكنه كافح بكثير من الإباء والإخلاص.

إنكم ستبرّثون هنانو لأن الوطنية ليست جريمة، ولأن الوطن السوري ليس كلمة باطلة جوفاء.

وبتبرّثه تكونون جديرين بالانتماء إلى ذلك البلد الذي تبنّى المبدئين اللذين أعلنتهما الثورة الفرنسية، وهما الحرية والعدالة، فباسم العدالة أعيّدوا الحرية إلى هنانو.

بعد انتهاء المرافعة سئل هنانو إذا كان يريد قول شيء فأجاب هنانو رئيس المحكمة قائلاً: إنني واثق بعدالتكم بالرغم من الخصومة القائمة بين بلادكم وبلادي، وإذا كانت فرنسا تتغنّى بالحرية والعدالة فإنّ سورية تنشد الحرية نفسها والعدالة نفسها.

القرار النهائي للمحكمة العسكرية الفرنسية

بحق إبراهيم هنانو :

بعد كل ذلك ختم رئيس المحكمة المرافعة، ثم دخل ورفاقه القضاة إلى غرفة المذاكرة للتداول في هذه القضية الكبرى، ولإعلان القرار النهائي وبعد انقضاء ساعتين في غرفة

المذاكرة، عادت الهيئة الحاكمة إلى منصّة القضاء لتلفظ حكمها. فنهض المستمعون نهضة واحدة وظل القضاء واقفين، وقد خيم على الجميع جوٌّ من الرهبة والخشوع كانت الأنظار كلها متجهة إلى الرئيس الذي بدأ بتلاوة الأسئلة والإجابة عنها بكلمتين نعم أو لا.

وكان السؤال الأول هل هنانو مذنب بتشكيل عصابة من الأشرقياء للنهب والسلب.

وما كاد الرئيس يجيب على السؤال الأول بكلمة (لا) حتى علم المحامي وكل من كان حاضراً بأن البراءة من نصيب هنانو من جميع التهم المنسوبة إليه.

وهذا ما تم في تلك الساعة المهيبة. فكلما طرح الرئيس سؤالاً كان الجواب (لا) بأكثرية ثلاثة أصوات ضدّ صوتين من أصوات القضاة.

ولما انتهى الرئيس وأعلن براءة هنانو، دوت قاعة المحكمة بالتصفيق الحاد، وسرت الهاتفات في أرجاء دار العدل وباحة السراي والشوارع المجاورة مردّدة فليحيا العدل فليحيا هنانو. كانت الساعة قد قاربت التاسعة مساءً، وكانت الجماهير المحتشدة داخل دار الحكومة وخارجها تُقدّر

بثلاثين ألفاً، وقد تعذّر على المحامي الخروج من قاعة المحكمة فحمّله الشيخ رضا الرفاعي، وتمكّن من المرور بين الكتل البشرية المترابطة، وأوصله إلى النائب العام الذي كان ينتظره في السيارة أمام باب السراي ليذهبوا إلى السجن العسكري ويبلغوا هنانو قرار المحكمة.

رأت السلطة الفرنسية أن تعيد هنانو إلى السجن بعد انتهاء مرافعة الدفاع عنه، وقبل إصدار الحكم تحاشياً لأيّ حادث مفاجئ يمكن أن يقع.

وبينما أخذت سيارة النائب العام تخترق شارع الخندق لتمرّ بباب الفرّج. وتتجه نحو خان استانبول مقرّ السجن العسكري. كانت الجماهير قد وصلت إليه وراحت تهتف هتافات فهمّ منها إبراهيم هنانو وهو داخل سجنه أن براءته قد أعلنت، استُدعي إبراهيم هنانو إلى غرفة مدير السجن، فتقدّم إليه النائب العام وصافحه وأبلغه المحامي قرار براءته وأطلق سراحه على الفور.

وكان بانتظار هنانو ومحاميه على باب السجن عربية ذات حصانين، وما كادا يركبانهما حتى تدفّقت الجماهير كالسيل الجارف، فحلّت الحصانين وراحت تجرّ العربية بدلاً منهما،

حتى وصلوا إلى دار هنانو، وكانت النساء تزغردن على طول الطريق الممتدة من السجن إلى الدار، وكانت مئات منهنّ منتشرات على أسطح البيوت، فشرعنّ يمطرنّ ماء الزهر وعطر الورد.

وتبعت يوم البراءة أيام مشهودة لبست فيها الشهباء حلل الزينة ونعمت خلالها بالأفراح والمسرات، وهرعت إليها ومن كثير من الأقضية والضواحي في سورية جموع المهنيين وجماهير الوطنيين، وساروا إلى دار الزعيم إبراهيم هنانو الذي لم يذق للنوم طعماً مدة ثلاثة أيام متوالية.

سابعاً - استمرار الثورة:

رغم وضع إبراهيم هنانو تحت الرقابة في منزله بعد إطلاق سراحه، إلا أنّ عدداً من رفاقه بقيادة الشيخ يوسف السعدون، ومصطفى الحاج، وعقيل الساطي، ونجيب البيطار، عادوا فاجتازوا الحدود إلى سورية قادمين من تركيا ليستأنفوا جهادهم ضد المستعمر الفرنسي.

وكان أول عمل قاموا به بعد دخولهم إلى سورية مهاجمتهم لقافلة نقل البريد بين أنطاكية ودركوخ في قرية الدركية يوم ٢٦ آب ١٩٢٢م، حيث قضاوا على الجنود الفرنسيين في

القافلة والضابط الذي كان يقودهم، وفي عام ١٩٢٣م، استشهد المجاهد البيطار مع رفاقه بعد أن طوقته سرية فرنسية في نواحي إدلب، فظل يقاتل حتى استشهد مع رفاقه العشرين، وفي أواخر عام ١٩٢٤م، قام المجاهد عقيل الساطي بمهاجمة دار الحكومة في السفيرة وقتل بعض الجنود الفرنسيين. ولما نشبت ثورات الجنوب وحماة سنة ١٩٢٥م، اتصل الزعيم هنانو برفاقه الثوار في منطقته من أجل إعداد سرية مجاهدين لدعم تلك الثورات. لكن السرية تم تطويقها في كفر تخاريم من قبل الفرنسيين، وفكت الحصار بعد معركة شرسة. وقد دامت أعمال المجاهدين في المنطقة الشمالية في تلك الفترة من ٢٠ كانون الأول ١٩٢٥م. حتى ١٥ نيسان ١٩٢٦م، قاموا خلالها بأعمال مجيدة في مواقع عدة، منها الفندق، خير جاموس، القصير الوسطاني، بستقول، حرينوس، عز مارين، تلّ عمّار وغيرها، وكانوا يُنزلون بالعدو أفدح الخسائر، فيما استشهد الكثير منهم في سبيل وطنه وشعبه.

ومن أهم المعارك التي جرت في تلك الفترة معركة "تلّ عمار" والتي كانت آخر معارك الثورة في المنطقة الشمالية، وجرت في أوائل شهر نيسان ١٩٢٥م، حيث فاجأت كتيبة

فرنسية مدعومة بالطائرات مجموعة من المجاهدين وأحكمت الطوق حولهم، ولكن المجاهدين تمكنوا من الإفلات بعد أن خسروا ١٣ شهيداً. منهم الشهيد عقيل الساطي أحد قادة الثورة، أما الفرنسيون فقد خسروا إحدى طائراتهم و٢٧ قتيلاً بينهم ضابط.

بعد هذه المعركة كانت ذخيرة المجاهدين قد نفذت، فيما هدّدت السلطات التركية بتسليم عائلاتهم التي كانت قد لجأت إلى تركيا إلى الفرنسيين إن لم يوقفوا عملياتهم العسكرية، فلم يجدوا مناًصاً من العودة إلى تركيا واضعين بذلك نهاية لثورة وقفوا فيها أمام جيوش الاحتلال لمدة ناهزت سبع سنوات، خاضوا خلالها (١١٧) مئة وسبع عشرة معركة سقط فيها مئات الشهداء، وكانت أهم نتائج ثورة هنانو إجبار الفرنسيين على الاعتراف بشرعية الثورة كبقايا لحكومة فيصل، ما دعاهم إلى مفاوضة الزعيم هنانو مفاوضة الند للند، وجاء ذلك بعد أن تكبد الفرنسيون خسائر فادحة في الرجال والمال والسلاح، أما النتيجة الأهم للثورة فكانت إعادة دمج دولة حلب بدولة دمشق بعد فصلهما. عندها أدرك الفرنسيون أن لا سبيل إلى فصل وحدة التلاحم الوطني بين سكان هاتين المنطقتين.

ثامناً - نضال هنانو السياسي :

شارك هنانو مع إخوانه المناضلين بتشكيل الكتلة الوطنية التي قادت النضال السياسي للشعب السوري مع عددٍ من الزعماء. من أمثال هاشم الأتاسي، وعبد الرحمن الكيالي، والأمير سعيد الجزائري، وفاخر الجابري، ونجيب البرازي، وعبد الله اليافي وغيرهم.

وكان من أبرز نتائج الثورة أنها أقنعت فرنسا بعدم جدوى سياسة الحديد والنار في حكم البلاد، وهذا ما دفعها للتفاوض مع زعماء الثورة منذ عام ١٩٢٦م، من قبل مفوضها السامي (دوجوفنيل)، الذي لم يكلل اتفاقه مع السوريين بالنجاح، فخلفه (هنري بونسو) الذي استمر في منصبه سبع سنين، وأعلن عن إجراء انتخابات من أجل جمعية تأسيسية تضع دستوراً للبلاد، وقام بإلغاء الأحكام العرفية وإصدار عفو عن المحكومين، وعيّن حكومة مؤقتة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسيني للإشراف على الانتخابات.

هنانو واللجنة الدستورية:

قَبْلَ الوطني الاشتراك في تلك الانتخابات التي قادت معركتها الكتلة الوطنية^(٩)، حيث تمكن مرشحوها من الفوز في حزيران ١٩٢٨م، بأغلب المقاعد، وافتتحت الجمعية التأسيسية أولى جلساتها برئاسة هاشم الأتاسي، وانتخبت لجنة لإعداد دستور للبلاد برئاسة إبراهيم هنانو حيث أتمت عملها بإعداد دستور للبلاد ينص في مجمله على أن سورية وحدة طبيعية لا تتجزأ، ونظامها جمهوري برلماني، وتتكون السلطة التشريعية فيها من مجلس واحد، والسلطة التنفيذية في يد رئيس الجمهورية يساعده مجلس الوزراء، والوزارة مسؤولة أمام البرلمان، والحكومة مسؤولة عن التمثيل الخارجي، وتأسيس جيش نظامي للبلاد، ولكن المندوب السامي اعترض على الدستور وطالب بإلغاء ست مواد متعلقة بالوحدة السورية وبتتظيم الجيش وسلطات رئيس الجمهورية، وعندما رفضت الجمعية طلبه أصدر قراره في

(٩) الكتلة الوطنية: وهي تجمّع سياسي من الفئات الوطنية

والبرجوازية.

شهر آب بتعطيل الجمعية ثلاثة أشهر ثم أوقف اجتماعاتها
لأجل غير مسمى مما أدى إلى خروج مظاهرات تطالب
بتنفيذ بنود الدستور.

هنانو زعيماً للكتلة الوطنية:

وفي عام ١٩٣٢م، عُقد مؤتمر الكتلة الوطنية وانتُخب
هنانو زعيماً للكتلة الوطنية، وساهم عام ١٩٣٣م، في
استقالة حكومة حقي العظم، بسبب نيتها الموافقة على
المعاهدة الفرنسية التي كان يرى أنها مجحفة بحق آمال
السوريين في الاستقلال والحرية.

في أيلول من عام ١٩٣٣م، تعرّض إبراهيم هنانو لمحاولة
اغتيال، فقد قام شخص يدعى نيازي الكوسى بإطلاق النار
على هنانو أثناء وجوده في قريته كفر تخاريم، إلا أن
الرصاص أصاب قدمه، وتم إلقاء القبض على مُطلق النار في
أنطاكية، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، إلا أن المفوض
السامي الفرنسي أصدر عفواً خاصاً بحق الكوسى؛ ممّا دفع
الجميع إلى التأكّد من علاقة الفرنسيين بمحاولة الاغتيال.

تاسعاً - نهاية حياة الزعيم هنانو:

لقد أوهنت الحياة المجهدة والنضال الطويل جسد الزعيم إبراهيم هنانو، فأصيب بالسلّ وأصبح مرضه مزمناً، وعلى الرغم من ذلك تابع هنانو سنوات حياته الأخيرة عاملاً في صفوف الحركة الوطنية والعربية من أجل الحرية والاستقلال.

قصد الزعيم إبراهيم هنانو قريته ستي عاتكة الواقعة بين حارم وسلقين للإشراف على بعض أعماله الزراعية هناك، وفي صباح يوم الخميس الواقع في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥م، تناول قهوته ثم قصد إلى كرم الزيتون ليشرف على العمال ويتريّض قليلاً، لكنه أحسّ بشيء من البرد والألم فعاد إلى غرفته وما لبث الألم أن اشتدّ عليه فأرسل ابنه طارقاً ليحضر له سيارة تنقله إلى حلب، وحين تأخّر طارق في العودة أمسك الزعيم ساعة وصار يعدّ نبضه، وحين شعر بأن عدد نبضات قلبه قد تجاوز المئة ألقى الساعة من يده، وقال لمن حوله: قولوا لإخوتي بأن الوطن بين أيديهم، وكان أول من نعاه إلى سائر الأمة العربية رفيق دربه وجهاده سعد الله الجابري.

وقد أذن المؤذّنون، ودقّت أجراس الكنائس حاملة نبأ وفاة الزعيم الوطني الكبير، وشيّع فقيد الأمة في موكب مهيب، وصُلّي عليه في الجامع الأموي في حلب ودفن فيها، وقد أوصى بأن لا يقام له ضريح إلا بعد استقلال سورية وجلاء المستعمر الفرنسي عن أرضها.

وشارك في التشييع وفود من مختلف المحافظات السورية، والبلدان العربية، وبهذه المناسبة أُعلن الحداد لمدة ثلاثة أيام، وصدرت الصحف مجلّة بالسواد في يوم وفاته.

وبمناسبة ذكرى أربعين هنانو، ومهاجمة الخطباء سياسة فرنسا تحوّلّت المناسبة إلى تظاهرة وطنية تندّد بالاحتلال، وجرت الصدامات في مدينة حلب، فقامت قوات الشرطة بمهاجمة حزب الكتلة الوطنية، وأغلقت مكاتبه، واعتقلت ونفت عدداً من الزعماء، وأتى ردُّ الفعل الشعبي سريعاً بإعلان الإضراب العام، بدءاً من حلب إلى دمشق، وشمل جميع المدن والأرياف السورية. قابل المفوض السامي الإضرابات بسلسلة جديدة من الاعتقالات، ومع هذا القرار فقد استمرّ الإضراب وأخفقت تدابير السلطة الفرنسية في إنهائه بعد أن دام ستين يوماً في دمشق، وحوالي ستة أسابيع

في معظم المدن السورية، واضطر دوما رتيل (المندوب السامي) إلى عزل الشيخ تاج. وأصدر بياناً في ٢٥ شباط ١٩٣٦م، أعلن فيه استعداده لإطلاق سراح المعتقلين، وإصدار عفو عام إذا قبل المواطنون إنهاء الإضراب والدخول في مفاوضات لعقد معاهدة على أساس الاعتراف باستقلال سورية ووحدتها. وبناءً على ذلك انتهى الإضراب (٨ آذار ١٩٣٦)، وتقرر إرسال وفد إلى باريس ليمفاوض الحكومة الفرنسية لعقد معاهدة وكان الوفد برئاسة هاشم الأتاسي، وأغلب أعضائه من الكتلة الوطنية. ويُعدّ مشروع معاهدة عام ١٩٣٦م، نقطة تحول في العلاقات السورية الفرنسية، وأول اعتراف بحق البلاد بالاستقلال التام من قبل الدولة المنتدبة.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

خاتمة

لقد شهدت حياة الزعيم إبراهيم هنانو الخاصة والعامة محطات هامة كان لها دورها الفاعل وأثرها البالغ في دفع الحركة الثورية المسلحة في سورية، وتعاظم الحركة الوطنية الشعبية وتلاحمها فيها. ليس في شمالها فحسب بل في أنحائها كافة. لقد كان هنانو بحق من رجال الحركة الوطنية والعربية التي نهضت من أجل التطور السياسي في بلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى، على قاعدة أساسها الحق في تقرير المصير، والحياة الحرة الكريمة والاستقلال الكامل، والسيادة التامة.

وبذلك فإن حياة الزعيم هنانو كانت متشابهة مع الكثير من معاصريه من القادة والزعماء والشائرين والمجاهدين في المنبت الأصيل، والبيئة الاجتماعية الواعية، والتربية الدينية والأخلاقية، والمشاعر الوطنية والقومية، والتفاعل مع أبناء المجتمع، والحرص على التلاحم الشعبي ووحدة الصف والكلمة.

الأمر الذي لم يسهم في اشتعال الثورات وتصادم المدّ الثوري والجهادي في التحدي المسلح للمستعمر الفرنسي الغاشم ودحره والانتصار عليه فحسب، بل ليشمل تنظيم الحياة اليومية للأهالي، وإحلال الأمن والأمان بينهم، وتوفير المحيط الاجتماعي الداعم والرافد للثورة والثوار.

لقد عَمَلَتِ الموهبة الفطرية للزعيم هنانو، ومؤهلاته المكتسبة من أسرته ومدرسته ومحيطه الاجتماعي وتحصيله العلمي، إلى جانب خبرته وتجاربه ورؤيته الحضارية في الحياة على تهيئة الظروف الملائمة لأن يهتم وبشكل جاد بالشأن العام، مما جعله محطّ أنظار مواطنيه المحيطين به، وموضع اهتمام النخبة السياسية الشابة في الحركة الوطنية الناهضة في بلاد الشام.

كان لتعاونه مع الثورات السورية، ولا سيّما ثورة الشيخ صالح العلي^(٥) الأثر الكبير في تشديد الحصار على قوات العدو الفرنسي واندحارها. ليس في ميدان ثورة الشمال فقط، بل في ميادين الثورات المشتعلة في أنحاء البلاد.

(٥) الشيخ صالح العلي: قائد الثورة في الساحل السوري.

الأمر الذي كان له دور بارز في دنو أجل المستعمر
الفرنسي، وتعجيل جلائه عن أرض الوطن الحبيب، وتحقيق
استقلاله. وكان الجلاء التام في السابع عشر من نيسان عام
١٩٤٦م.

الهيئة العامة
السنورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

ما قيل في هنانو بعد وفاته

لقد تسابق الشعراء والخطباء إلى تأبين الفقيه الكبير،
والإشادة بحياته وعطاءه وبطولاته، ففي حفل تأبين الزعيم
الراحل إبراهيم هنانو لأمس شاعر العرب الكبير عمر أبو
ريشة^(١) ضمائر الناس قائلاً:

هنانو، أي صاعقة أقضتْ

على صرّح من العليا مشيدٌ؟

هنانو، أي سيف أغمدته

يدُ الأقدار في غمدِ الخلود؟

صرّيع الموت، هل أبقيتَ سهماً

ولم تقذفه بالعزم السديد

(١) عمر أبو ريشة: شاعر سوري مشهور ولد في مدينة منبج /
سورية (١٠ نيسان ١٩١٠ - ١٥ حزيران ١٩٩٠).

وفيك بطولَةُ الأجيالِ تدوي

مناضلةً عن المجدِ التليدِ

نهضتَ فكنتَ عاصفةً تمشتَ

وفي جنباتها قصفُ الرعودِ

فكم أرقصتَ مُهرَكٍ في صعيدِ

وكم أرديتَ خصمَكَ في صعيدِ

كما رثاه الشاعر الكبير بدوي الجبل^(٩) في قصيدة قال

فيها:

صلىَّ الإلهُ على قبرٍ يطوفُ بهِ

كبيتِ مكةَ مَنْ حَجَّوا وَمَنْ قَصَدُوا

أغفى أبو طارقٍ بعدَ السُّهادِ بهِ

وخلفَ الهمَّ والبُلوى لِمَنْ سهُدُوا

-
- - بدوي الجبل: هو محمد سليمان الأحمد (١٩٠٥-١٩٨١). شاعر سوري من أعلام الشعر المعاصر في سورية. ولد في محافظة اللاذقية.

ضَاوٍ مِنَ السَّقَمِ ضَجَّتْ فِي شَمَائِلِهِ
عَوَاصِفُ الْحَقِّ وَالْأَمْوَاجُ وَالزَّبَدُ
إِذَا أَثِيرَ نَضًا عَنْهُ مُوَاجِعَهُ
كَمَا تَفَلَّتْ مِنْ أَشْرَاكِهِ الْأَسَدُ
يَرُوعُ فِي مَقْلَتِيهِ بَارِقُ عَجَبٍ
وَعَالَمُ عِبْقَرِي السَّحَرِ مَنْفَرْدُ

لقد ترك إبراهيم هنانو وما قدَّمه من أجل وطنه من
بطولات وتضحيات نموذجاً رائعاً يُحتذى...! لقد أحبه
الناس، وتغنَّوا به وما زالوا مع أطفالهم يرددون تلك الأغنية
الشعبية التي تجسّد تضحياته وتذكّر بها... مثل ما كان في
الأغنية الشعبية الجميلة التي يقول مطلعها:

طيارة طارت بالليل، فيها عسكر فيها خيل، فيها
إبراهيم هنانو، راكب عا زهر حصانو.

المصادر

- إحسان الهندي. كفاح الشعب العربي في سورية: (دراسة تاريخية عسكرية) - دمشق، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، ١٩٦٢.
- أمين السعيد. الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن - مج ١ - القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٦٧.
- فتح الله الصقال. من ذكرياتي في المحاماة في مصر وسورية - حلب، مطبعة الضاد. ١٩٥٨.
- نجاة قصاب حسن. جيل الشجاعة: مذكرات حتى عام ١٩٤٥ - ج ٢ - دمشق، مطابع ألفباء الأديب، ١٩٩٤.
- بعض المواقع الكترونية.

المحتوى

الصفحة

٥	مقدمة
٥	- أولاً: حياته ونشأته
٨	- ثانياً: الوضع السياسي في سورية قبيل الثورة.....
١٣	- ثالثاً: محاكمة هنانو
٢٥	- رابعاً: معارك هنانو
٢٨	- خامساً: هنانو ومفاوضات الثورة
٣٣	- سادساً: محاكمة هنانو
٥٠	- سابعاً: استمرار الثورة
٥٣	- ثامناً: نضال هنانو السياسي
٥٦	- تاسعاً: نهاية حياة الزعيم هنانو
٥٩	- خاتمة
٦٣	- ما قيل في هنانو
٦٦	- المصادر



الطبعة الأولى / ٢٠١٣ م

عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

هـانـو، أي صاعقة أقضتْ
على صرَحٍ من العـليا مشيدٍ؟
هـانـو، أي سيف أغمدتْهُ
يـدُ الأقدارِ في غـمـدِ الخلودِ؟
صريعِ الموتِ، هل أبقيتِ سـهـمـاً
ولم تقذفْهُ بالعزمِ السَّديدِ
وفيكِ بطولـةُ الأجيالِ تدوي
مناضلةً عن المجدِ التليـدِ
نهضتِ فكنتِ عاصفةً تـمـشـتُ
وفي جنباتها قـصـفُ الرعودِ
فكم أرقصتِ مـهـركِ في صعيدِ
وكم أرديتِ خـصـمـكِ في صعيدِ



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com

هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٥٠ ل.س أو ما يعادلها